

# مفاهيم أساسية في علم الاجتماع

الجزء الأول

## مفهوم الهوية واستعمالاته السوسولوجية.

د. سهام شريف(\*)

د. محمد بن حليلة

### تمهيد:

إن المفهوم هو «مجموعة الرموز التي يستعين بها الفرد. لتوصيل ما يريد من معاني لغيره من الناس، ومن السهل التعبير عن المفاهيم الملموسة ومن الصعب التعبير عن بعض المفاهيم التي تحتاج إلى الكثير من التحديد وكثيراً ما يرتبط المفهوم بالتعريفات السابقة له، كما

يتحدد المفهوم بتحديد الخصائص البنائية والوظيفية له»<sup>(1)</sup>، ويقصد بتحديد المفاهيم في أي دراسة أو بحث علمي «تبيان ما تعنيه من مقاصد، وتوضيح ما تتضمنه من معانٍ، وما تظهره من صفات. ويتضح المفهوم عندما يعقله الإنسان، ويميزه عن غيره الذي يشترك معه في الصفات»<sup>(2)</sup>.

ومن هذا المنطلق، «يستوجب على الباحث أن يحدد مفاهيمه من أجل إزالة أي لبس قد يعلق بذهن المستمع أو المطلع، لأن المفهوم الواحد قد يحمل أكثر من معنى، وبما أنه يحمل أكثر من معنى، فإن الغموض يحفه من كل جانب، مما يجعل ضرورة تحديده»<sup>(3)</sup> تحديداً دقيقاً يساعد على فهمه، وفهم استعماله في البحث أو الدراسة. فمن المهم أيضاً، «توضيح المقصود بالمصطلحات المستعملة بالبحث حتى لا يساء فهمها، أو تفهم بدلالة غير الدلالة الواردة في هذه الدراسة. وكثيراً ما تتعدد المعاني المستخدمة... ويساعد تعريف المصطلحات في وضع إطار مرجعي ليستخدمه الباحث في التعامل مع المشكلة الخاصة بالبحث»<sup>(4)</sup>.

وسوف نحاول في هذه المقام أن نتحدث عن **مفهوم الهوية** كمفهوم مهم في مختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية، خاصة في علم الاجتماع وعلم النفس، وبالأخص في علم النفس الاجتماعي. خاصة عند التطرق لمختلف الاستعمالات السوسولوجية لهذا المفهوم، أي الكيفية التي يمكن أن يستعمل فيها أعلام السوسولوجية، الباحثين وعلماء الاجتماع لهذا المفهوم المتشعب في مختلف الحقول العلمية.

فالحديث عن مفهوم الهوية متشعب، ونحن نحاول تقديمه من خلال محاولة الإجابة على العديد من التساؤلات التي تطرح نفسها بإلحاح على الباحثين والدارسين في الحقل المعرفي، مثل: ما هو تعريف الهوية؟ ما هي نظرة علم الاجتماع وبالخصوص علم الاجتماع الديني لمفهوم الهوية؟ وما هي نظرة مختلف العلوم لمفهوم الهوية، خاصة الفلسفة والتاريخ؟ ما هو التأثير الديني، الثقافي والحضاري على مفهوم الهوية؟ وما هي الخصوصيات الثقافية التي تبرز إن التطرق إلى المواضيع ذات الصلة بالهوية؟

وإذ ندرج هذا المفهوم في بداية هذا العدد من مجلة «أسئلة و رؤى»، فيعود أساساً لارتباطه بملف العدد الذي خصصناه لموضوع «الهوية والخصوصيات الثقافية». فحتى يكون القارئ لهذا العدد على إلمام بما يحمل الملف، ومن منطلق إبستمولوجي ومنهجي، حاولنا تحديد مفهوم الهوية، وذلك من خلال التطرق إلى كل العناصر التي تتحدث من قريب أو بعيد عن هذا المفهوم المركب والمعقد في الكثير من المرات. وكذلك للإجابة على الكثير من التساؤلات التي تم طرحها في سياق تقديم هذا المفهوم، والأهم حتى يدرك القارئ ويستوعب الأبحاث التي قدمها الأساتذة الأفاضل حول موضوع الهوية.

لقد تعددت مفاهيم الهوية، أو تعددت تعريفاتها، فانطلقت من كونها إعلاء لقيمة الفرد في المجتمع، ووصلت إلى حد اعتبارها الدالة على الوعي بالذات الاجتماعية والثقافية، أو تعبير عن جملة من الخصوصيات الثقافية التي تعبر عن اللغة، العرق، العقيدة، الحضارة والتاريخ. فلا شك بأن مفهوم الهوية شديد الحساسية، وصعب المعالجة داخل أي إطار نظري. ففي أي معالجة نظرية لهذا المفهوم يلتقي علم الاجتماع بعلم النفس والأنثروبولوجيا، وتلتقي الإيديولوجية والسياسة، يضاف إليها التقاطع الموجود بين الذاتي والجماعي، بين الفردي والاجتماعي، بين الواحد والمتعدد، بين الثبات والتغير، بين الانفصال والاتصال. هذه التداخلات تصبح أكثر حدة خصوصاً وأن الانفعال الواعي أو اللاواعي في كثير من الأحيان يصبح هو اللازمة العامة التي تسود كل حديث عن الهوية<sup>(5)</sup>.

## 01 — الهوية في اللغة:

الهوية في اللغة العربية، خاصة في المعاجم المعروفة مثل: لسان العرب وتاج العروس وكتاب العين، فهي غير موجودة، لكن عزيز مشواط في مقاله «أزمة الهوية في العالم العربي، أزمة معنى أم أزمة حضارة»، يذكر في التعريف اللغوي أنها مذكورة في المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية، حيث يعرف الهوية بأنها «حقيقة الشيء أو الشخص الذي تميزه عن غيره. ويذهب المعجم إلى تعريف معنى آخر للهوية حيث تضاف إلى الكلمة (بطاقة)، أو توصف بالنعته (الشخصية)، لتجعلنا نحصل على المصطلح (بطاقة الهوية) أو

(البطاقة الشخصية)، المتداولين حديثاً، فيذكر أن الهوية بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله»<sup>(7)</sup>.

كما أن الكلمة مشتقة من الضمير «هو»، ويشير إلى الاتحاد مع الذات، ويشير مفهوم الهوية إلى ما يكون به الشيء «هو، هو»، أي من حيث تشخصه وتحققه في ذاته، وتميزه عن غيره، فهو وعاء الضمير الجمعي لأي تكتل بشري، ومحتوى لهذا الضمير في الوقت نفسه، بما يشمل من قيم وعادات ومقومات تكيف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة<sup>(8)</sup>.

كما تشير الهوية في اللغة ، وحسب معجم المعاني الجامع، «الهوية: منسوب إلى هو، هوية الإنسان: حقيقته المطلقة وصفاته الجوهرية، الهوية الوطنية: معالمها وخصائصها المميزة وأصالتها، بطاقة الهوية: البطاقة الشخصية تحمل اسم الشخص وتاريخ ميلاده وعمله وجنسيته، الهوية: إحساس الفرد بنفسه وفرديته وحفاظه على تكامله وقيمه وسلوكه وأفكاره في مختلف المواقف»<sup>(9)</sup>.

أما بالنسبة للغات الأجنبية، فمصطلح الهوية لا يطابق تماماً ما هو مقصود في اللغة العربية، فالهوية في اللغة العربية يقابلها في اللغات الأوربية كلمة (Identité)، وتعني المطابقة، فعندما تقصد بشيئين متماثلين أو متطابقين نستخدم النعت (Identique)، فهذا النعت يعني التماهي بين الشئين، أي تطابق هويتهما. فعندما نستخدم عبارة هوية في اللغة العربية، فإننا نقصد هذا المعنى جزئياً لا كلياً<sup>(10)</sup>.

## 02 – التعريف الاصطلاحي:

مهما كان

## 03 – مصطلحات لها صلة بمفهوم الهوية:

توجد الكثير من المصطلحات التي استعملت للدلالة على مفهوم الهوية أو أحد العناصر المكونة لها، أو حتى ذات الصلة باستعمالها، سواء في علم الاجتماع أو العلوم الأخرى ، خاصة اللغة، ومن هذه المصطلحات من حاول التركيز عليه جون جوزيف في كتابه «اللغة والهوية، قومية - إثنية دينية»، من بين هذه المصطلحات ما سوف نورد على الشكل التالي:

## 04 — الهوية البشرية:

تدخل الهوية البشرية في سياق ما يتفق عليه كل البشر، ونعني هنا النوع البشري أو الإنسان ككائن بيولوجي ثم ككائن اجتماعي لديه الكثير من العناصر التي تعبر عنه كإنسان أو كنوع بشري رغم التنوع المعروف به. ويتجاوز حتى التعريف الوراثي للنوع، بل يتعداه إلى «المصدر المولد للجنس البشري والمحدد له، بغض النظر عن التخصصات والانغلاقات والتقسيمات. إن الموروث الوراثي نفسه مشترك بين جميع البشر ويضم جميع الصفات الموحدة الأخرى (التشريحية، والمتعلقة بالشكل والدماء)»<sup>(11)</sup>.

فكل البشر يتفقون في نفس الهوية، لوجود عدد كبير من السمات والصفات الثابتة، مثل: وحدة الانفعالات لدى الكائن البشري بديهية. وقد بينت الكثير من الدراسات في علم السلوك أن البشر يتفق في العديد من السلوكيات الفطرية رغم ما تحوره الثقافات وتبينه على أساس أنه متنوع، لكن «التعبير عن الفرح، واللذة، والسعادة، والتسلية، والحزن، والألم دليل على وحدة انفعالات الجنس البشري. فالمشاعر الكبيرة هي بالفعل شمولية: كالحب، والحنان، والعطف، والصداقة، والكراهة، والاحترام، والازدراء»<sup>(12)</sup>.

ما يبين كذلك، الهوية البشرية الواحدة، خاصة الإيمان بمختلف المعتقدات، وأشكال الإيمان بحياة الإنسان ما بعد الموت في مختلف المجتمعات الإنسانية، القديمة أو الحديثة منها، التي تؤمن بالبعث والحياة بعد الموت، أو التي لا تؤمن بكل ذلك، فالموت يشكل «موضوع قلق وحزن حتى أولئك الذين يؤمنون بالانبعاث وبالحياة بعد الموت؛ وحتى الذين لا يؤمنون بالانبعاث أو بالحياة بعد الموت، يعبرون عن النكران النفسي للموت بالعبارة (لا، لا، هذا غير ممكن). ثم ثقافات، بالتأكيد، تتيح قبول الموت إلى حد ما، واستيعابه نوعاً ما والاستسلام له والتفأول به، لكن لا يمكنها إلغاء وحدة تفكير البشر بالموت»<sup>(13)</sup>.

كما أن الباحثين في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع يعتقدون أن الهوية البشرية واحدة، تختلف في الجزئيات وتتفق في الكليات، فمهما اختلفت التعاريف غير أنها تتفق في الصلب، فمثلاً: تعريف الثقافة، خاصة تعريف تايلور الذي يعتبر الثقافة ذلك الكل المعقد

والمركب من القيم والعادات والمعتقدات والأفكار التي تنتقل من جيل إلى جيل، وهو ما يعني أن الثقافات على تعددها وكثرة الاختلافات فيها في المجتمعات البشرية، إلا أنها تتفق في الأساس.

وفي هذا السياق يقول أدغار موران: «وفي جميع المجتمعات، ثمة موسيقى وغناء، وشعر. وفي جميع المجتمعات، ثمة عقلانية ودين، وتقنية وسحر، وطقوس وعبادة»<sup>(14)</sup>، وهو تنوع يقود إلى الوحدة البشرية رغم الاختلاف، وحدة تمكن من التعدد، وتظهر من خلال ذلك التنوع البشري الفردي، الثقافي والاجتماعي الذي يولد نوع من الهوية الواحدة قي إطار ما يسمى الإنسان، كما يولد نوع من التناقض الكبير الذي يظهر من خلال العناصر التي توحد الإنسان، هي نفسها العناصر التي تفصل بين الأفراد والمجتمعات.

### **الهوية والخصوصية التاريخية :**

أما بالنسبة

### **الهوية والخصوصية الثقافية :**

أما بالنسبة

### **الهوية والدراسات السوسولوجية :**

أما بالنسبة

### **الهوية والدراسات الأنثروبولوجية :**

أما بالنسبة

### **الهوية في المجتمع الجزائري :**

أما بالنسبة

## الهوامش :

- (1) أستاذان بجامعة الجزائر 02 ( أبو القاسم سعد الله )، تخصص علم الاجتماع الديني. وأعضاء في مخبر الدين والمجتمع، وأعضاء في هيئة تحرير هذه المجلة.
- (2) أمين الساعاتي: تبسيط كتابة البحث العلمي ، من الكالوريوس ، الى الماجستير .. وحتى الدكتوراه، ط 01، المركز السعودي للدراسات الإستراتيجية، جدة، المملكة العربية السعودية، 1991، ص: 36.
- (3) عقيل حسين عقيل: فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1999، ص: 05.
- (4) نفس المرجع، ص: 05.
- (5) رحيم يونس كرو العزاوي: مقدمة في منهج البحث العلمي، ط 01، سلسلة المنهل في العلوم التربوية، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، 2008، ص: 50.
- (6) يمكن التوسع في هذه النقطة على الرابط التالي : <http://minbaralhurriyya.org/index.php/archives/5926>.
- (7) Op-cit.
- (8) يمكن مطالعة تعريف الهوية في اللغة، من خلال مقال محمد أبو خليف على الرابط التالي: [http://mawdoo3.com/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81\\_%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9](http://mawdoo3.com/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81_%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9)
- (9) <http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9/>
- (10) <http://www.sudanjem.org/2009/11/%D9%81%D9%8A-%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D9%87-1/>
- (11) أدغار موران: النهج انسانية البشرية، الهوية البشرية، ط 01 ، ترجمة : هناء صبحي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة، 2009، ص: 74.
- (12) نفس المرجع، ص: 75.
- (13) نفس المرجع، ص: 77.
- (14) نفس المرجع، ص: 77.